الى طريق الحق ، وما لبث أياماً قلائل الاّ وخضعت لهُ القبائل ودانت لهُ أغلب البلدان . وما زالت الامارة في امتداد واتساع حتى أصبحت دولة آل سعود في درجة لو وُفّق أمراؤها الذين تسلموا قيادة زمامها في آخر أيامها الى ثروةٍ وَمَدِّ نظرٍ في السياسة لغدت اليوم من أعظم الدول الاسلامية قوة وسطوة ورهبة ولامتدت أمرتهم الى بلاد شاسعة ، الاّ انهُ دهمها ما لم يَدُرْ في خلد أصحابها فانها لمَّا شدّدت في بعض أمورها كثر أعداؤها فاحتالوا على الفتك بها فأوقع بعض الامرآء ما يلقي النفور بين آل سعود وبين الحكومة العثمانية وللحال انقدت تلك النار الحامية نار الحروب والمضاغنات والزحفات المتكررة فأضرّت بالطرفين

ولا بد من ذكر تلك الاسباب التي حملت القوم الواحد على القوم الآخر في فرصة أخرى والله ولي التوفيق . وهو نعم الرفيق

في جنائن الغرب

﴿ حديث القلوب ﴾

« للكاتب الاجتماعي لامينه[1] »

١

أعيروا السمع وقولوا لنا من أين يأتي ذاك الدوي المصم الغريب

(١) (Lamennais) فيلسوف فرنسوي عاش من سنة ١٧٨٢ الى سنة ١٨٥٤ وكان من انصار المبدإ الثيوقراطي — وهو المبدأ القائل بصدور السلطة

الذي يُسمع في الجوانب كافة ؟

ضعوا الايدي على الارض وقولوا لنا لماذا هي تضطرب وقد اكتنفها الظلام

هناك شيء مجهول يتحرك في جوف المسكونة فهناك والحالة هذه عمل من أعمال القدرة

أفي الوجود خليقة لا تنتظر الساعة ؟ أفي الاجسام قلب لا يخفق لها؛ ارتفع يا ابن الانسان الى الاعالي وقل لنا ماذا ترى ؟

أرى في الافق سحابة ممتقعة اللون يحيط بها شعاع احمر كانهُ لهيب وأرى امواج البحر تتلاطم ، وقمم الرواسي تتزعزع ، والروابي تتمايل، فتنهال على الوديان فتغير مجارى الانهر

أرى الآن ان الثوابت كلها تتحرك ، وان الوجود يتخذ لنفسه شكلاً جديداً .

— وماذا ترى أيضاً يا ابن الانسان ؟

أرى الغبار يتصاعد فينعقد سُحُباً في الفضاء البعيد ، فتنتشر في الارجاء وهي تختلط وتتصادم مارة فوق المدن فتبدو كالسهول

وأرى الشعوب تهب افواجاً والملوك يضطربون فوق عروشهم . فهناك اذن حرب قائمة

في الهيئة الاجتماعية من الله ووجوب حصرها في يد وكلائه على الارض كما كان عليه العبرانيون . ثم ما لبث هذا الكاتب أن انحاز الى مبادي الثورة الفرنسوية فكان من اشد انصارها . وهو كاتب بليغ ومفكر متعمق ولكنه متقلب في ارائه (الزهور)

وأرى عرشاً بل عرشين قد تحطما وبددت الشعوب بقاياهما

وأرى شعباً ينازل شعباً آخر غاطساً في الحديد . ضربات الاول ساحقة ولكن هوذا قد سقط والدماء تسيل من جسمه العاري فهو قد طُعن طعنة قاتلة

بل انهُ جُرح ليس إلاَّ ، فانهُ لايزال يبدي حراكاً وقد اقبلت عليه عذراء طرحت عليه ثوباً ابيض وهي تبتسم لهُ ابتسام الاشفاق ثم أخرجتهُ من ساحة القتال وقد اصطبغت يداها بالدماء

وأرى شعباً آخر ينازل منازلة متواصلة مجدداً قواه التي يفقدها في الجهاد توصلاً الى بغيتهِ التي ينشدها

وأرى شعباً ثالثاً قد وطأته اقدامُ ستة من الملوك قد شهروا خناجرهم وهم يغمدونها في نحره كلما ابدى الحراك

وأرى ساحة شاسعة قد اقيم فيها بنيان شاهق توارى بين الستائر السوداء

وأرى الشرق يضطرب ناظراً مذهولاً الى انهيار آثاره الشاهقة وتحول معابده الصوَّانية الى رماد ، باحثاً في طيات الوجود عن عظمة زاهرة يستعيض بها عظمة زالت ، ومجد جديد يقام على اطلال مجد قد اندثر

وارى حسناء في الغرب حادة العينين عالية الجبين وضاحة الوجه ممسكة مرقماً لا تحركه أناملها مسطرة كلمة حتى تهتف لها الشعوب وتحييها الناشئات وتمجدها الافئدة

وأرى في الشمال رجالاً يكتنفهم برد أبدي فاستعانوا عليه بحرارة الايمان

وأرى في الجنوب رؤوساً ذليلة تحت تأثير لعنةٍ أجهل ما هي، وهي رؤوس قد ثُقّلت بنير هائل أيضاً فطأطأها ذووها شديداً وأخذوا يحولون أرقاءَ ، ولكن هوذا روح قد حل في ربوعهم فأخذوا في تقويم هـذه الرؤوس تدريجياً

— وما الذي تراه أيضاً يا ابن الانسان ؟

أرى النور والظلمة يتزاحمان ويتدافعان

وأرى الشر هارباً امام الخير الذي أقبل محفوفاً بأعوانه واضعاً قدمه على العرش ليحكم ومادًّا يمناه الى الصولجان ليثبّت به البسيطة

٢

عدنا بالفكر الى الزمن الغابر ، وحلّقنا في فضاء تلك القرون حيث كانت الارض خصبة تدرُّ الخيرات على بنيها وقد عاشوا سعداء فيهـا فكانوا كاخوة

فرأينا الثعبان قد أخذ يزحف بينهم موجهاً عينيه النافذتين الى الكثيرين فاستهواهم فاضطربت منهم النفوس ، ودنا بعضهم من بعض فهمس الثعبان في آذانهم بضع كلمات اصغوا اليهـا لاهثين ثم انهم قالوا « اننا ملوك »

وللحال امتقعت الشمس واصطبغت الارض بصبغة الحداد ثم سُمعت ضوضاء شديدة عقبتها أنة طويلة تلتها رعدة استولت على النفوس

فقل اذن ان الساعة كانت كساعة الطوفان . وساد الرعب على

الاكواخ — حيث لم يكن هنالك قصور — واستسلم القاطنون بها الى مفزعات الاوهام والوساوس وتولتهم رجفة

واستل الذين قالوا اننا ملوك سيوفهم وهاجموا الاكواخ

فوقعت فظائع جمة داخل تلك الحصون القصبية وجرت الدموع ممزوجة بالدماء

وصاح الرجال وجلين لقد عاد القتل فانتشر . وكان هذا غاية دفاعهم فان الخوف قد قتل فيهم النفوس وأوهن السواعد

وتخلوا عن أنفسهم يائسين فثقلت أيديهم بالاغلال التي جعلت منهم ومن نسائهم وبنيهم مجموعاً زُج خليطاً في كهف أعده لهم أولئك الذين قالوا اننا ملوك ، فبات بنو الانسان وهم كذلك كحيوانات في مربط

ومزقت العاصفة طيات السحب وبددتها وقصف الرعد شديداً وسمعنا صوتاً أشد يقول : لقد انتصر الثعبان ولكنه انتصار لا يطول

ولم يصل الى آذاننا بعد ذلك سوى خليط أصوات مبهمة رامزة الى الضحك والزفير والسب

ففهمنا أن الشر سائد فبكينا بكاءً مرًّا تلاه انتعاش في النفس بدا لأمل تولَّد، الا وهو ان ذاك الشر الواقع انما هو مقدمة للخير المقبل

لاح لنا هذا كله كما وقع في حينه ولاح لنا ذاك الخير ، فقل اذن أن الانسانية ستتحرر فتنطلق من عقالها ويهوي أولئك الذين قالوا اننا ملوك الى الكهف نفسه فيجدون الثعبان يتلظى

٣

أبناء أب واحد أنتم، وأمٌّ واحدة قد أرضعتكم فلماذا لا يحب بعضكم بعضاً كاخوة ولماذا تسعون الى التنازع كأعداء . . ؟

ملعون الانسان الذي لا يحب أخاه . واكثر من ملعون هو إن جعل من نفسه عدوًّا لأخيه . ولذا لُعن الملوك والامراء والعظماء فانهم لم يحبوا اخوتهم . وعاملوهم كما لو كانوا لهم أعداء

ليحب بعضكم بعضاً وأنتم لا تخشون الملوك والامراء والعظماء . انهم ليسوا بأقوى منكم غير متوحدين في المحبة الاخوية

لا تقولوا ان ذاك من شعب ونحن من شعب آخر فان الارض وطن الجميع ، فيجب أن يكون الجميع واحداً

تفضي اصابة العضو بأذى الى تألم الجسم كله ، وأنتم هذا الجسم ، فتحاشوا وقوع الأذى بالعضو ولا تدعوه يسقط تحت نير ، فان في ذلك سقوط المجموع ، ولا تكونوا كذاك القطيع الذي ينقض عليه الذئب فيفترس منه كبشاً حتى اذا عاوده الجوع عاود الافتراس . نعم لا تكونوا كذلك ميلاً منكم الى الظن بأن افتراس الكبش الاول يعود عليكم بما كان له من النصيب في المرعى ، فانه لظن يؤدي بصاحبه الى أن يكون الفريسة السائغة لذاك الوحش الذي يروي ظمأه بالدماء ويسد سَغَبَهُ باللحم .

٤

ان صادفتم رجلاً يُقاد الى الاعدام أو السجن ، فلا تتسرعوا في

القول بأنه رجلُ شرٍ يجب أن يبتر ، اذ انه يجوز أن يكون رجلَ خيرٍ قد رغب في خدمة الانسان فعاقبه مضطهدو الانسان بالقتل أو السجن

وان رأيتم شعباً دُفع مثقلاً بالحديد الى قساوة جلاده فلا تقولوا بأنه شعب دموي عكر السلام وأثار الاضطرابات فانه قد يكون صائراً الى الفناء لخلاص البشرية تعريب منا صاوه

سياحة في اسبانيا [1]

عواصم البلاد ومتاحفها ومعابدها وآثارها — المكتبة العمومية — سراي الملك والاصطبلات — زيارة الشاعر روستان في جبال كامبو — مصارعة الثيران — لعبة « بلوت باسك »

وعدتكم ووعد الحر دَين ، أن أوافيكم ببعض الاخبار عن سياحتي في البلاد الاسبانية ، وكنت أود كثيراً أن أقوم بالوعد أحسن قيام ، لولا شواغل كثيرة تحول دون بلوغ المرام ، وما اكثر شواغل الايام ! خصوصاً لمن كان معها في جهاد وخصام . . . ولكني بحمد الله قد فزتُ الآن بما أرجو بالرغم من العقبات التي حاول أن يضعها في سبيلي ذوو الغايات فأزالتها يدُ الحقيقة ومهدت لي السبيل

اذا اعتاد الفتى خوضَ المنايا فأسهلُ ما يمرُّ به الوحولُ

(١) طلبنا من الاديب الفاضل صاحب هذه المقالة قبل سفره الى اسبانيا ان يوافي قرّاء « الزهور » بشيء عن تلك البلاد التي سطع فيها مجدُ العرب فأرسل الينا في الشهر الفائت هذه الرسالة واعداً ان يتبعها بغيرها